جامعة الملك سعود
كلية الآداب
مجلة الآداب
ردمد (ورقي): ٣٦٢٠-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Arts
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3620
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٤)، ع (٤)، ص ص ٣-٢٠، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٢م/ ١٤٤٣هـ)

Journal of Arts, Vol. 34 (4), pp 3-20, © King Saud University, Riyadh (2022 /1443H.)

الأدبيّة في كتاب: (التشويق الطبيّ) لصاعد بن الحسن (حيّ ٤٦٤هـ)

محمد بن علي بن محمد السنيدي

أستاذ الأدب والنقد المشارك، قسم اللغة العربية، كلية التربية بالمجمعة، جامعة المجمعة، السعودية

(قدم للنشر في ٤/ ٣/ ١٤٤٣هـ، وقبل للنشر في ٢٨/ ٧/ ١٤٤٣هـ)

الكلمات المفتاحية: النثر الوسيط، النادرة الأدبية، الازدواج البلاغي، الإنشائية.

ملخص البحث: ألّف أبو العلاء صاعد بن الحسن كتابَ (التشويق الطبي) في القرن الخامس الهجري، وجعله ثلاثة عشر بابًا، بيّن فيها جلالةَ الطب، وآدابَ معاملة الطبيب للناس، وتكلّم على المتحذلقين ونوادرهم، ومواضعُ القول التي تتلبّس بالتشويق: غزلية واستدراجية، فأما الغزلية فالكتاب ليس منها، والأظهر أنه من القوة الشوقية في الفلسفة والخطابة، وهي من الانفعال الذي يستدرج به البلغاءُ متلقيهم؛ المعروف بالباتوس، فشوّق صاعدٌ بالمشجعات، التي تصنع شوقًا إلى جلال الطب وحفيظةً من هجرانه؛ وقد رضي بعضُهم أن يرث الطب كميراث العادات، فأراد صاعد نقلهم وتشويقهم من الطب العملي إلى الطب العلمي. وذكر صاعد أنه تخيّر اللفظ، وكانت الجُمل المزدوجة أكثر استعمالا في البابين الأوّلَيْن وفي الباب السادس، منها ما هي مِن معجم عام، ومنها ما هي مِن معجم خاص بناه صاعد على معجم الخصم، فاستعمل: طباقًا بين نيةِ مدّعي الطب وعمله المفسد، وقولاً بالموجب استغل ألفاظ خصمه. وأهميةُ القضية ومرونة الأدبية في زمن المؤلف لا تمنع من الإقرار بطباقه وإيجابه ضمن الأدبية. وخص صاعد بابين بالنوادر، منها أربع عشرة نادرة كان الراوي لها صاعدٌ نفسه، والنادرةُ خبرٌ فيه استعمال للّغة استعمالًا غير مألوف، بتصحيف قراءة، أو بالإدهاش بمعانٍ بعيدة، أو بالحوار بكلام غير معتاد، برد ساذجٍ أو مُسكت.

Poetics in the book (Medical Thrilling) by Sa'id Bin Al-Hassan in alive (464) AH

Mohammad Ali Alsonaidi
Associate Professor in Literature and Criticism, College of Education, Majmaah University, Saudi Arabia
(Received: 4/ 3/1443 H, Accepted for publication 28/ 7/1443 H)

Keywords: Intermediate prose, Poetics anecdotes, Rhetorical duplication, Poetics.
Abstract. Abu Al-Alaa Sa'id Bin Al-Hassan wrote the book of Medical Thrilling in the fifth century AH. The book included thirteen chapters, in which the author explained the greatness of medicine, and physicians' ethical responsibility toward people. In addition, he talked about pedants and their anecdotes, and how anecdotes were confused with Thrilling: flirtation and temptation. As for flirtation, the book is not intended for that. Yet, it is from the power of longing in philosophy and rhetoric, or it is from the emotion with which the rhetoricians lure their recipients; which was known as Pathos.

The author was keen to show the greatness of medicine in order to attract people to this profession and not to abandon it. Some were satisfied to inherit medicine as the inheritance of habits, but Al Sa'id wanted to transfer and excite them from practical medicine to scientific medicine. ALSa'id mentioned that the he had chosen his sentences carefully in his writing; thus, has used many rhetorical sentences in the first two chapters and in the sixth chapter. The importance of the issue and the flexibility of literature in the author's time did not prevent him from recognizing his book applicability and positivity within literature. The author singled out two chapters about anecdotes, in fourteen of them the narrator was the author himself. The anecdote is a type of news in which the language is used in an unfamiliar way, by correcting a reading, surprising with distant meanings, or through dialogue with unusual words or with a naive or silent response.

مقدمة:

في سنة ٤٦٤هـ ألّف طبيب عربي مشرقي اسمه صاعد بن الحسن كتابًا، عنوانه: التشويق الطبي، تجلّت فيه سمات أدبيةٌ حقيقةٌ بالنظر والتحليل، ولا يُرام استدراكُ الكِتاب كلِّه على الآثار الأدبية، ولا إلحاقُ المؤلف بزمرة الأدباء، إنما يُرام النظر في توسّله بأدبيّة زمانه حتى يُشوّق إلى العلم بمهنته، ففي الكتاب أبوابٌ علمية وتعليمية صَفِرت من الأدبية؛ ولزمت لغة العلم باصطلاحاته ومسائله، ومنه أبوابٌ لوحظت الأدبية فيها.

والأدبيّة ليست المقابل التأثيلي للمصطلح الأجنبي (Poetics)، لكنها المقابل المفهومي والإجرائي له، وهي: محصّل ذهني من أقوال أدبية ذات سيرورة واستحسان، بما ميزها نوعًا أو اختص بها عرَضًا، يؤهله أن يُمثّل: "قوانين الخطاب الأدبي في كلٍّ من الشعر والنثر". (ناظم، ١٩٩٤، مفاهيم الشعرية، ص٨٣. وينظر: إيخنباوم، ١٩٨٢، نظرية المنهج الشكلي، ص٣٥. تودوروف، ١٩٩٢، الشعرية، ص٢٤).

وللمصطلح ترجمات أخرى، أشهرها: الشعريّة، والأخذُ بها أخذٌ بلوازمها، ومنها أنّ أنواع الأدب من نوع واحد منها تفرّعت عنه، وأنه هو الشعر، وأنّ ميزة الأنواع المتفرّعة بمقدار ما تأخذه من الشعر، (وغليسي، ٢٠٠٨، إشكالية المصطلح، ص ٢٧١- ٢٧٩) وأنْ ليس لغير الشعر خصيصة نوعية جمالية مميزة، ومثل هذا لا يأتلف مع آداب العرب؛ لأنهم منذ منتصف القرن الهجري الأول تأدّبوا بالقرآن والخطب والأخبار والأشعار، فقوّموا ألسنتهم وأقلامهم، ثم خرّجوا معايير نقدهم وبيانهم وبديعهم، وظلوا على هذا، لم يكتفوا بنوع دون آخر.

فالأدبية أكفأ في الاصطلاح؛ لأنّ الأدب وسط بين العموم الذي توحي به الإنشائية والخصوص الذي توحي به الشعرية، وبه أخذ بعض النُّقّاد (ناظم، ١٩٩٤، مفاهيم الشعرية، ص١٨)، وهي كامنة في اللغة؛ إذ الأدب: "يستعمل نظاما موجودًا قبله -هو اللغةُ- مادةً خامًا" (تودوروف، ١٩٩٢، الشعرية، ص٣١)، فليست الأدبية تمردًا عليها، ولا استعانةً بخارجيّ عنها، وهي مدركةٌ في عصر المؤلف، وليست إسقاطًا لمفاهيم متأخرة على كتاب قديم؛ لأن مِن تصورات الأدبيّة تصوّرًا كونيًّا يرى أن قيمًا ثابتة غير مظروفة كالجرسية أو التوازي أو الانزياح أو التخييل هي الأدبية لا سواها، ومِن الأدبيّة تصوّرٌ آخر يقرّ بالتنوع وحق الاختلاف، ويتحرر من المركزية؛ فيرى للّغة استجابات مختلفة -بحسب الظرف التاريخي والاجتماعي- يكون لها رأيٌ فصلٌ في قيم الأدب: أجناسه، وجماليته، ومقاماته (ناظم، ١٩٩٤، مفاهيم الشعرية، ص٧. تودوروف، ١٩٩٢، الشعرية، ص١٦. سبّاع، ٢٠١٩، الحداثة وما بعد الحداثة، ص٣٤)، وآداب الأمم والعصور تشهد بأثر الظرفية فيها، لا عن ضعف لغة وخضوع فيها، بل ذلك دليل على كفاية اللغة ومرونتها.

والعناصر التي ظهرت فيها الأدبية في الكتاب: التشويق والازدواج والنادرة، التي تمثّل مباحث البحث؛ ففي التشويق انقسم مبحثه إلى التشويق المتأصل من الغزل الشعري، وإلى التشويق المتأصل من الاستدراج الخطابي، وفي الازدواج انقسم مبحثه إلى معجم عام ومعجم خاص اختلفا في ما استعانا به من ألفاظ، وفي النادرة انقسم مبحثها إلى ما يصنعها من تقارب قولين أو تنافرهما، ورُتّبت المباحث بحسب ترتيب ظهورها، فالتشويق ذكره المؤلف في عنوان الكتاب، والازدواج استهل به مقدمته، ويسبق المباحث: تمهيد يُعرّف بالمؤلف وكتابه، وفي التحليل لا أنسب إلى المؤلف سببا ولا غاية، ولكني أسجّل ما تقوله الأدبيّة سواء دان به المؤلف أم لم يدن به، وأفسّر كيف يُنتج نصٌّ يتصل بمتلقيه عبر أدبية معتبرة عندهم.

تمهيد

١ .المؤلف

لترجمة المؤلف مصدران، أحدهما:

أ. ابن أبي أُصيبعة (المتوفّى ٦٦٨هـ) عدّه في طبقة أطباء العراق والجزيرة وديار بكر، ثم لم يزد على أن قال في ترجمته: "أبو العلاء صاعد بن الحسن، من الفضلاء في صناعة الطبّ، والمتميزين من أهلها، وكان ذكيا بليغا، ومُقامه بمدينة الرَّحْبة، وله من الكُتب: كتاب التشويق الطبي، صنّفه بمدينة الرحبة في رجب سنة ٤٦٤"، (ابن أبي أصيبعة، د.ت، عيون الأنباء ص٣٤٠)، والرحبة اسم تحمله عدة مدائن، منها: مدينة على الفرات بين بغداد والرقة. (ياقوت، ١٩٩٥، معجم البلدان، ج ٣، ص٣٤) واختارها كحّالة (المتوفّى ١٤٠٨هـ) (كحّالة، د.ت، معجم المؤلفين، ج٤، ص٣١٨).

وذكرتُ ترجمة ابن أبي أصيبعة أولا؛ لأنها للمؤلف بلا شك؛ بذكرها لاسم الكتاب، وإلا فالأقدم هو المصدر الآخر عند مَن جَزَمَ أنّ صاعدًا الأمير هو صاعد الطبيب.

ب . ابن عساكر (المتوفّى ٥٧١هـ) الذي ترجم وأخبر في تاريخه عن أبي العلاء صاعد بن الحسن، ولم يورد له طبًّا ولا كتابًا ولا مُقامًا بالرَّحْبة، وإنما ذكر أنه أمير يلقب بزعيم الدولة، وأنه ابتكر قلمًا ينفث حبرًا، وصنع شخصًا ينفخ نارًا، وأنه قدم دمشق وعمل بديوانها. (ابن عساكر، ١٩٩٥، تاريخ دمشق، ج٦ ص٤١٣، ج٢٣ ص٢٨٧-٢٨٨)

ومَن ترجم للصاعدَين غير ابن عساكر وابن أبي أصيبعة فعماده على أحدهما، وكلا المصدرين لم يذكر تاريخ ولادة ولا وفاة، واتفقا على أنهما يترجمان لرجل من أهل النصف الثاني من القرن الخامس، وأورد له ابن عساكر أشعارا كأنها تفصيل لحكم ابن أبي أصيبعة على صاعد بأنه بليغ لو كانت الترجمتان لواحد.

وقد والى الزركلي (المتوفّى ١٣٩٦هـ) ترجمتهما، ونبّه على احتمال أن يكون الصاعدان صاعدًا واحدًا، وأنّ مؤرخ الأطباء لعله اهتم به طبيبا، فذكر تطبّبَه، وتأليفَه في الطب، والرحبةَ التي ألّف فيها ذاك التأليف. (الزركلي، ٢٠٠٢، الأعلام، ج٣ ص١٨٧ ح١).

والمشتركات بينهما –الاسم واسم الأب والكنية والعصر والبلاغة– لا تكفي لتوحيدهما؛ فاسمُ صاعد ليس نادرًا، واسمُ أبيه الحسن شائعٌ شيوعَ أسماء آل البيت، وليس من التفرّد أن يكنى مَن اسمه صاعد بأبي العلاء؛ فمن اسمه اشتُقّتْ كنيته؛ إذ بين العلاء والصعود ترادف، وما كلُّ الكُنى مِن أُبوّةٍ متحققة، ومَن بَحَثَ في التراجم فسيظهر له أعلامٌ في قرون مختلفة تسميتهم: (أبو العلاء صاعد بن الحسن)، وأما صناعة القول البليغ فشائعة في الأوائل.

وفي مقدمة التشويق الطبي شكا صاعد ما عليه الأطباء مِن "رقة الحال أو قلة المال؛ فالموت أهون عليهم مما يلاقونه، وأيسر عندهم مما يقاسونه"، ولم يسعفهم إلا "اهتمام سيدنا الرئيس الأجلّ الكامل" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص٥٢)، وقال يختم كتابه مبيّنًا غايته، وهي: "إحياء العلوم التي رفعها قليل، وشخصها ضئيل، وأنصارها معدومون، وأهلها محرومون" (السابق، ص١٤٠)، وهذه حال لا تأتلف مع الإمارة، إلا إن كان تأليف الكتاب في غير زمنها، ولو قيل: (إن صاعدًا يصف غيره، ولا يصف نفسه، فلا تناقض بين مقاله وإمارته)، لقيل: إن مِن عادة مَن تأمّر ألّا يذمَّ أحوالَ المعاش فيمن حوله؛ لأنها حجة عليه، تضع من عدله، وتسيء إلى تدبيره.

وذَكَر الزركليُّ كتابًا في ترجمة الأمير صاعد، عنوانه: (التشويق التعليمي)، ولم يذكره ابنُ عساكر، وحقه أن يُذكر في ترجمة صاعد الطبيب؛ فالمخطوط منسوب إلى (صاعد بن الحسن المتطبب)، وليس فيه لقب إمارة ولا زعامة، (عسيري، ١٩٩٦، مقدمة تحقيق التشويق الطبي، ص٢٤-٢٥)، والمحقق بنى على نسبة التشويق التعليمي للأمير تبعًا لترجمة الزركلي وتشابهه مع التشويق الطبي اتحاد الصاعدَين.

٢ . الكتاب.

جعل صاعد بن الحسن كتابه ثلاثة عشر بابًا، أولها في سبب تأليفه، وفي ثانيها وثالثها ورابعها وخامسها شوّق إلى الطب وعرّف به، فبيّن جلالةَ الطب، ثم صفاتِ الطبيب، ثم قوانينَ صناعة الطب، ثم آدابَ معاملة الطبيب للناس، وانتقل في السادس والسابع إلى الضد، فتكلّم على المهملين ثم على المتخلِّفين،

ولكي يبقى الطبيب الماهر على كفايته كان في البابين الثامن والتاسع امتحانٌ ثم ما يُعذرُ فيه الطبيب وما لا يعذر فيه، وقبل الختام جاءت الأبواب العاشر والحادي عشر والثاني عشر لغير الأطباء بإبطال أوهام العامة، ثم توصيتهم صحيًّا، ثم ذكر نوادر لهم ولأطبائهم.

وختم كتابه في الباب الثالث عشر فأوجز غرضه، واعتذر من تقصيره، وقسّم متلقيه إلى منصف وحسود.

ونشر الكتاب المحقق: مريزن سعيد مريزن عسيري عام ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، بجهد ملحوظ في خدمة النص المحقق، وبخاصة في شرح الغريب الطبي، وما يجيْء في هذا البحث من شرح مرض أو دواء فهو منه، وفي التحقيق هنات أغلبها طباعية، وتَحَفَّظ المحقق في موضعين (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص ٩٥، ١٣٦) تحفّظًا جعله يحذف ما عدّه مبتذلا.

المبحث الأول: أدبية التشويق.

تعنون الكتاب بالتشويق الطبي، والتشويقُ في اللغة: تهييج الشوق، والشوقُ: "نزاع النفس إلى الشيء"، ويُخص بالهوى (ابن منظور، ٢٠٠٨، لسان العرب، ج٨ ص١٦٣)، ومواضع القول التي تتلبّس بالشوق: غزلية واستدراجية.

١ . التشويق الغزلي.

فأما التشويق الغزلي الذي تتماهى فيه منظومات علمية تحشد مصطلحات علمية مُورّاة بالصبابة والشوق واللوعة، فالكتاب ليس منه، فهو نثر، ولم يكن لهوى المحب حبيبَه، مع أن الغالب على الأدبيّة هذا الضرب من النزوع، فزمن المؤلف يجيء والغزلُ يتعمم، وألفاظ الحب والشوق تتجاوز المرأة في شعر أبي نواس، وأخذت تمتد إلى المنظومات العلمية، ثم إلى المدح ووصف الحرب كما في ديوان المتنبي، ثم إلى الذات الإلهية في شعر الصوفية. (الثعالبي، ١٨٨٥، يتيمة الدهر، ج١ ص١٤١ - ٢٤٠. العسكر، ٢٠١٠، شعر الغزل ونظرة سواء، ص٦. شعيب، ٢٠١٨، الشعر العلمي الغزلي، ص٦٧٤).

وبحسب الأسلوبية التعبيرية فإن اللغة تمد مستعملها بوحدات صوتية ودلالية وتركيبية لها وقع وجداني في حسبان شارل بالي (Charles Ball) (جيرو، د.ت، الأسلوبية، ص٥٤. فضل، ١٩٩٨، علم الأسلوب، ص١٨، ٢١)، ومُتأمِّلُ اللغة سيميّز مخارجَ حروفٍ ووسائلَ دلاليةً وتركيباتٍ نحويةً ولّدتها العاطفة (السابق، ص٢٠).

وإن كانت هذه الأسلوبية ليست مدركة في زمن المؤلف، فإنه لن يَعْدَم أمثالها في أبواب النحو وأغراض البلاغة، ففيها صلات بانفعالات الترجي والتمني والتحضيض والتعجب والتهديد والإنكار والتحسر والتحقير.

ولم تظهر وسائل بيانية تثير الشوق، كاستعمال التشبيه في التحريك إلى المشوق إليه، وليس في الكتاب تراكيبُ تعجبٍ وندبة واستغاثة وإغراء وتحذير وسائر ما دلّ على انفعال، إلا أدعيته في مقدمةِ الكتاب وخاتمتِه وقليلٍ في ثناياه، ومنه قوله محذِّرًا الطبيب من إهمال صحته: " الطبيب إذا لم يمكنه حفظ صحته ودفع مرضه فهو أحرى ألا يمكنه ذلك في غيره، ومنها أن معيشته تفسد؛ فلعن الله تخليطا، يوجب تفريطا، وشهوة تُحْدِث هفوة" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص٨٢)، فدعا دعاءً دالا على وجدان مغتاظ لا مشوِّقٍ ولا مشتاق.

وقال مذكّرا بالواجب ومهدّدًا بالعقوبة: "ومن اللازم الواجب على الطبيب أن لا يصف شيئا من السموم والأدوية القاتلة، ولا يذكرها البتة، ولا يصف دواءً يُسقط الأجنّة، ولا يتكلم إلا بما فيه جلب منفعة أو دفع مضرة، فإن فعل

فالسلطان أولى به، والله مكافِئُه في الدارين" (السابق، ص٨٧)، وقدّم السلطان؛ لأن الزجر بالتقوى لا يُرجى بأمثال الطبيب القاتل، فبادره بما يردعه، وأين هذا التهديد من التشويق.

فالكتاب إذن لم يفد كثيرًا من الوسائل الانفعالية في النحو والتصريف، ولم يعمه استعمال تعبيرات غزلية عمّت آثارًا علمية، وقد قال الصفدي (المتوفّى ٦٧٤هـ) عن أثرٍ علمي في القرن السادس امتزج بالغزل: "هذا فنٌّ لا يقدر عليه غيره، ولا أعرف لأحدٍ مثل هذا، نَعَمْ، المتنبي وبعض شعراء العرب الفحول لهم قدرةٌ على إبراز صورة الحرب في صورة الغزل؛ فتجد حماساتهم تشبه الأغزال"، (الصفدي، ٢٠٠٠، الوافي بالوفيات، ج٢٢ ص١٦٥)، فلصاعد سلفٌ وخلفٌ في تعمّم الغزل، ولم يكن كتابه في جملتهم، فنثر ولم ينظم، وشوّق ولم يتماهَ في الغزل.

٢ .التشويق الاستدراجي.

الأظهر أن المؤلف أخذ بالقوة الشوقية التي عند النُّظّار في الفلسفة والمنطق إذ قالوا في "القوة النزوعية الشوقية": إنها قوة نفسانية، باعثة على الحركة، وإنّ النفسَ لتتصورُ الشيءَ ثم تشتاق إليه، ثم تريده، ثم تتحرك إليه. (ابن سينا، ١٩٥٢، أحوال النفس، ص ٥٨. التهانوي، ١٩٩٦، كشاف اصطلاحات الفنون، ج٢ ص٢٤٣).

ويتسع فيها المناطقة في كلامهم على صناعة الخطابة، فهي من الانفعال الذي يوقده البلغاء، (الفارابي، ١٩٧٦، الخطابة، ص٣٤)، وهو المعروف بالباتوس (Pathos)، فيُحْدِثون في نفوس متلقيهم المخوفات والمشفقات والمشجعات والمغضبات، ويريدها صاعد للتغلب على معتقد لطائفة من الجهلة: "تعتقد أن العاقل مُحارَفٌ[بمعنى: منقوص الحَظّ] محروم، وأن الأحمق مُوفّق محظوظ، ويظنون أن سبب الحرمان العقل، وأن سبب الحظ الجهل" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص٦١)، فهي قوة تنشط بها الأذهان الخاملة، وقد قال موجزًا غايته في خاتمة الكتاب: "قصدنا اجتذاب القرائح البطّالة إلى تعلم العلوم النافعة" (السابق، ص١٤٠).

والاستدراجات التي بثها المؤلف فشوّق بها، هي: المشجعات التي تصنع شوقًا إلى الظفر بجلال الطب وحفيظةً من عواقب هجرانه، فخصّ الباب الثاني بجلالة الطب، وقال بأن على جلالته: ""أجمعت الأمم، واتفقت الشهادات بالقياسات الصحيحة والتجارب المستمرة... وشهدت بذلك الشرائع على اختلافها" (السابق، ص٥٥)، ثم ذكر أقوالًا منسوبة إلى النبي –عليه الصلاة والسلام– في فضل الطب، وبعدها أورد آيتين، هما: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾ [البقرة: آية ٢١٩]، ﴿والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس﴾ [البقرة: آية ١٦٤]، وليس فيهما نص في الطب، وإنما حَمَلَ النفعَ فيهما عليه.

وهو لا يريد من المتلقي تصديقًا بجلال الطب، فهو متقرر أصلًا لما أجمعت الأمم واتفقت الشهادات، بل يريد منه حركة، هي حركة الشوق التي تنزع المشتاق ليُقبل على المشوق إليه.

ومما يُشجَّع به ذِكْرُ المغْنم؛ إذ تحدّث صاعدٌ عن أن الطب جِبِلّة في الإنسان والحيوان طبعًا، فأورد أقوالا فيه، وأورد أفعالا من تطبّب الحيّات والغربان والقطط والطيور، (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص٥٩-٦١) فإذا علم المخاطب هذا قَدَّرَ أنّ مِن الخسران أن يُبدّد هذا الطبع، وعَلِم أنّ سبيل الطب ليس موحشًا؛ فأوله مستأنس في طبعه، فيشتاق إلى المضي فيه.

ويُشجَّع بالتحذير إذ حذّر من فِقدان الطب، والمشجعات أصلًا هي: "العدة التي تُلقى بها المخوفات" (ابن رشد، ١٩٦٧، تلخيص الخطابة، ص٣٢٧)، ومنها قوله في الباب الثاني يدعو الله: "ألّا يجعل زماننا زمانًا تنتزع فيه العلوم، ويكون صاحبها هو المحروم... إذا جرت الأمور على غير الصواب، من دفع الحقائق، والميل مع الأباطيل، وهجرت العلوم، و[فشا] الجهل في الناس، وفسدت السياسات، وقلّت

الخيرات، وكان ذلك مسخطًا لله تعالى" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص٦٣) فهذا مخوف من فساد المدينة؛ لأن صلاحها بأربعة -قد قدّم بها من قبل- هي: "سلطان عادل، وطبيب عالم، ونهر جار، وسوق قائمة" (السابق، ص٥٨)؛ فيتحرك الشوق في المتلقي حَذَرَ الهجر.

وما سبق معدود من التشويق إلى احتراف الطب، ويبقى ضرب من التشويق يدعو محترفيه الذين اكتسبوا الطب بالتقليد إلى أن تكون صنعتهم الطبية علمية قياسية، مهيأة لمعالجة نوازل الأمراض، لإحاطتها بأحوال الجسد وما ينفعه وما يضره، فخص أولئك الأطباء بأبواب، يسميهم في الباب السادس: "مدعي هذه الصناعة" الذين أهملوا: "القراءة والبحث والمذاكرة"، ويسميهم في الباب السابع: "المتخلفين"، ووضع الباب الثامن امتحانًا يميز الحاذق من غيره.

ذلك أن الصنائع تبدأ في الناس عمليًّا، فيلازم المبتدئ طبيبًا يشاركه زيارة المريض، ويرقب عمله في الكشف والمعالجة؛ حتى يستنّ به، ويعيد عمله، فإذا استقل بنفسه صحب معه تلميذًا؛ ليكون له كما كان لشيخه الأول، ولولا أن النفوس تشتاق إلى النظر والفحص والتمييز لاستمر التلقي بالتسلسل العملي، لكنّ الصناعة تتطور، فتكون قياسية لها مبادئ في تعليلها والفصل في خلافاتها، والحجاج عن مذاهبها (الفارابي، ٢٠٠٤، الحروف، ص١٥٠)، ومن النفوس مَن لم تتحرك فيها القوة الشوقية، ورضيت بأن ترث الطب كميراث العادات، فأراد صاعد نقلهم وتشويقهم من الطب العملي إلى الطب العلمي، والفرق حينئذٍ بين الطِّبَّيْن كالفرق بين مهنة الفلاحة وعلم الهندسة الزراعية.

ويمتاز الطب العلمي بأنه يعلم العامة الوقاية، فيحفظون صحتهم، ويميّزون الأطباء حاذقهم ومتحذلقهم، إذ قال صاعد: "الغرض بما نأتي به ههنا من الجمل المختصرة من قانون حفظ الصحة أن تشوّق من قرأها مع ما قبلها إلى النظر في الصناعة الطبية، وتؤمّنه من أن يُسلّم نفسه إلى واحد من الأطباء المتحكمين في أرواح المرضى... فالسعيد من وُعِظ؛ فاتعظ، والموفق من نُصِح، فقبِل" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص١٢٣).

وحذّر العامة الذين: "يسلّمون أنفسهم وأرواحهم إلى العجائز الخَرِفات، فليس من أحد يمرض إلا وأكثر أهل بيته أطباء إما امرأته أو والدته أو خالته، أو بعض أهله أو جيرانه"، وخص بالذم طب المرأة العجوز، فينكر على المريض أن: "يطيع أمرها أكثر مما يطيع الطبيب، ويعتقد أن تلك المرأة مع قلة عقلها أعقل منه وأسدّ رأيًا، وليس يليق هذا القول بهذا الباب لكن هذا خاطر أزعجني تذكّرُ قبيحِ أفعال العوام بأنفسهم الذين يقبلون خرافات النساء، ويركنون إلى قول أراذل الأطباء الذين هم من العلم محرومون، والمرضى بسوء تدبيرهم مرحومون" (السابق، ص٩٢)، فالعجائز في زمنه ممن يمتهن الطب بلا علم.

ولما تبين أن التشويق الاستدراجي بعضٌ من الخطابة، والخطابة بعضٌ من الأدبية، قد أمدتها بالبيان والأسجاع والأمثال، تبيّن حينئذٍ أن هذا التشويق من أسباب اتخاذ الأدبية في التأليف، وما يأتي بعدُ من اتّسامٍ بالازدواج وسردٍ للنوادر ما هو إلا للانقياد إلى هذا التشويق.

واختياره نعت التشويق بـ(الطبي) دون تعليقه بانتهاء الغاية -إذ لم يقل (التشويق إلى الطب)- جَعَل تشويقَه أشمل، فالتركيب الغائي يدل على انتقال من مغاير للطب؛ لأن ما بعد (إلى) يباين مُنْطَلَقَه،

وأما التركيب النعتي (التشويق الطبي) فلا ينص على ذلك، بل يحتمل أن يكون تشويقًا من غير الطب إلى الطب كالأول، ويحتمل أن يكون تشويقًا بين شيئين كلاهما طب، وهما الطب العملي والطب العلمي، فالتركيب النعتي أشمل وأوفى بدعوة صاعد.

المبحث الثاني: أدبية الازدواج.

اتجه أدباء النثر في زمن صاعد وقبله إلى جعل كل جملتين أو أكثر بمقدار متماثل أو متقارب، وأقله أن تتقارب نهايتهما في المخرج الصوتي، ويعلوه أن تتماثلا في حرف ساجع، ولربما كانت كلمتا السجع بوزن واحد، وقد يسري توافق السجع والوزن إلى بقية كلمات الجملتين (العسكري، ١٩٥٢، الصناعتين، ص ٢٦٣-٢٦٤)، فالازدواج إذن: ما يُعقده الأديب بين جملتين أو أكثر من تماثلٍ في عدد الكلم أو توافقٍ في وزن أو سجعٍ أو تقاربٍ في آخر الفواصل، فالكلام المزدوج بإيجاز: "الكلام المتعادل من سجع أو من غير سجع" (مطلوب، ١٩٨٣، معجم المصطلحات البلاغية، ج٣ ص٢٤٦).

وقد شاع لمثل هذا استعمال مصطلح التوازي (parallelism)، وهو السمة الوظيفية في أدبية ياكبسون، غير أن البحث لا يقدّم قراءة جمالية تُسْقِط على النص ما لم يعهده مؤلفه، وإنما يُفسِّر إنتاجَ المؤلف بالوسائل المسخّرة له في ظرفه الأدبي، فالفرق بين الازدواج والتوازي كالفرق بين تفسير الإنتاج وإعادة قراءة الإنتاج بجمالية جديدة.

وقد ذكر صاعد أنه لم يُلقِ اللفظ على قدر المعاني، بل تخيّر؛ إذ يقول: "وقد كتبتُ في هذه المقالة جواهرًا من الحِكَم، ودُررًا من الكَلِم، تنفع من قرأها منصفا، ويعجب من تأملها متوقفا...، وأرجو أن يكون ذلك مُرْضِيًا لمن رجوتُ رضاه، نافعًا لمن يتدبره ويقراه، مع بسط العذر لنا في اختيار الألفاظ، والاقتصار على بعض المعاني" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص٦٣)، والمستوى الذي تخيره لم يجمع فيه تعادل الكلم وتوازن الصيغ وسجع الفواصل، بل تحلّى وتخلّى.

والغاية من الازدواج السيرورة والحفظ (ابن جني، ١٩٥٧، الخصائص، ج١ ص٢١٦) بأن تجري الجُمل مجرى الحِكم المأثورة، وتتشبه بالأبيات الشاردة، فإنّ الجُمل يُذكِّر بعضُها ببعض حين تجلب الفاصلة المسجوعة أختها، وتُحضر الكلمة الموزونة نظيرتها، وتُحمل الجملة على سابقتها في عدد أو وزن؛ فيتقلص المنسيّ، ويقترب البعيد، إذا عُرف عدده أو مُوازِنه أو خاتمته، ومنه قوله: "الغرض في ملكة الكتب التَفَهُّم، وفي ادّخار العلوم ...، وإلا كان مالكها حمارا، يحمل ..." (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص٧٧، ٨٧)، فلا يعسر على المتلقي أن يتنبّأ بالكلمتين المحذوفتين تنبّؤًا صحيحًا أو صالحًا للمعنى؛ فالتفهّمُ -لوزنه ولمعناه ولسجعته- سيجلب (التعلّم) في الفراغ الأول، وتجاورُ لفظتي (حمارا يحمل) سيجلب (أسفارا)؛ فبها السجع، وبها الاقتباس من الآية: ﴿كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ [الجمعة: آية ٥].

وإن لم تتحقق السيرورة إذ لم يظهر أنّ لصاعد مقولاتٍ ذائعة إلا فيما جاء في كتاب: بيان الحاجة إلى الطب والأطباء (الشيرازي، ٢٠٠٢)، فيكفي أُنسُ السامع، وتفاعلُه -بتوقعِه لنهايات الجُمل، واقتراحِه لنهايات أفضل- وارتياحُه إلى مؤلف مكين في اللغة يأمل إلى أن يكون وراءه قدرة على الإقناع.

وكان الازدواج أكثر استعمالًا في البابين الأولَين وفي الباب السادس، وبينها فرق بحسب المقصود واللفظ المستعمل، فالمتكلم إن كان بمقام لا خصومة فيه أخذ كلامه من معجم عام، وإن كان في خصومة فإن المتخاصمَين يأخذ أحدهما من كلام خصمه ما يبني عليه حجته، فكان الازدواج على هذا النحو:

١ .ازدواج من معجم عام:

ومنه لما افتتح الكتاب، فقال: "الحمد والتسبيح، والمجد والتقديس، والتذلل بالسجود، والإذعان بالخصوص، للواحد الأزل، المحرك الأول، المسبَّح بسائر اللغات، والمتخصص بأشرف الصفات" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص٥١)، والفواصل الأربع الأولى متوازنة: التسبيح والتقديس، ثم السجود والخصوص، ومن مهام العتبات تعرّف القارئ على أسلوب المؤلف (بلعابد، ٢٠٠٨، عتبات،

١١٩)، وهذا ما كان فقد زاوج بين الجمل، إنْ عددًا وإن وزنًا وإن سجعًا، فأبان عن قدرته في اللغة، وأفصح عن مسلكه في المخاطبة.

وقال في الباب الثاني الذي جعله في جلالة المهنة: "شهدت بذلك الشرائع على اختلافها، والملل على إثباتها، واستعملها الأنبياء والأوصياء، واقتدى بهم الأتقياء والعلماء" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص٥٥)، وقال: "لم تحذرها شريعة، ولا حرّمتها ملة؛ فقد بان فضلها، وجلّ قدرها؛ فلذلك ترى الناس لاضطرارهم إليها يجلّونها، ويبجلونها، ويحتفظون بما يقع لهم من كتبها وينسخونها" (السابق، ص٥٧)، فاستعان بالترادف والتوارد، إذ تجلب فيه الكلمة مثيلتها أو قسيمتها في معنى، كما بين الشرائع والملل، وما بين الأنبياء والأوصياء والأتقياء والعلماء، وما بين التحذير والتحريم، وما بين الإجلال والتبجيل، واستعان بالنحو في مزاوجة الجمل:

جدول ١ المزاوجة النحوية

لم تحذرها شريعة	لا حرّمتها ملة	نفي + فعل + الضمير ها + فاعل
بان فضلها	جلّ قدرها	فعل ماض ثلاثي ساكن الوسط+ فاعل ثلاثي ساكن الوسط+ الضمير ها

وقال: "وهذه الصناعة مركوزة في طباع العقلاء، ومطبوعة في غرائز الفضلاء، يذكرون منها أصولًا، ويشرحون من منافعها فصولًا"، واتزنت (مركوزة ومطبوعة)، وكذا (العقلاء والفضلاء)، وأيضا (يذكرون.. أصولا ويشرحون... فصولا)، واتسقت الجملتان: "استخرجها بالقياس أصحاب العقول الصافية، وصححها بالتجارب ذوو القرائح الذكية" (ص٥٨) اتساقًا نحويًّا واحدًا:

جدول ٢ المزاوجة النحوية

استخرجها	بالقياس	أصحاب	العقول	الصافية
صححها	بالتجارب	ذوو	القرائح	الذكية
فعل ماض + ها	ب + اسم مجرور	مضاف	مضاف إليه	نعت

ومع التوافق النحوي والصرفي بين الكلمات توافقٌ معنويٌّ، فلا يخفى ما بين (القياس والتجارب) فإنهما من طرائق الأدلة، وأنّ (أصحاب وذوو) بمعنى واحد، وأنّ (العقول والقرائح) تتقارب معنى.

٢ .ازدواج من معجم خاص.

تميل الأدبيّة في الخصومات إلى أن تتعالى إلى الأمثال والأخبار، فيُقرن الخصم في وصفٍ أو خبرٍ بسابق مشهور؛ للحَطِّ والهُزءِ، كتربيع الجاحظ (المتوفّى ٢٥٥هـ) وأخلاق الوزيرين للتوحيدي (المتوفّى بعد ٤٠٠هـ) وهزلية ابن زيدون (المتوفّى ٤٦٣هـ)، بَيْدَ أنّ صاعدًا في باب الخصومة لم يعمل هذا، فأغنى بابه عن عبء النصية الموازية (paratextuality) من حيث أفقره من النصية المتفرعة (Hypertextuality) (جينيت، ١٩٩٧، أطراس، ص١٨٢، ١٨٥)، أيْ لم يصحب بابَه بشرحٍ وحاشية لـمّا لم يجعله متفرّعًا عن مكاتبات المثالب.

وخصومة صاعد هي لجنس من الناس وليست لفرد، ولا يُراد بها قطيعة الخصم وإسقاطه، بل تحسّنه، وقد انصرف عن التعالي النصي حتى في ضرب المثل، إذ وصف "مدعي هذه الصناعة" في الباب السادس بأنهم: "يأكلون بشره الخنازير، ويشربون بعطش البطّ" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص٨٩-٩٠)، فضَرَب المثل بالخنزير وبالبط، والعربُ تضرب في الأكل بالحوت والسوس والفأر والفيل، وفي الشَرَه بالأسد، وفي الشُّرْب بالهِيم [الإبل العطاش]، وفي العَطَش بالحوت وبالنقّاقة [الضفدع] والنمل. (العسكري، ١٩٨٨، جمهرة الأمثال، ج١ ص٢٠٠- ٢٠١، ٥٦٢، ٥٦٦، ج٢ ص٧٠-٧١)، ومَن تتبّع ما يضرِب به الأدباءُ المَثَلَ وجدَ أنهم يتفقون على مواردَ مأثورة: كأسد الشرى، وظباء مكة، وسرحان الغضا، وجبل رضوى، ورماح الخط... حتى لو أدرك الأديب ما هو أعلى منها، والأدبيةُ لا تُنكر الازورار عن هذا، فقد تجرّد التشبيه في الدرس البلاغي، واختص الشعر بمن بقي من البلاغيين والنقاد مستمسكًا بأعيان ما عليه

العرب من تشبيهات أو بطريقتهم (ابن طباطبا، ١٩٨٥، عيار الشعر، ص١٥-١٩. قدامة، ١٩٧٩، نقد الشعر، ١١٥-١١٨)، وصاعدٌ أخذ بتشبيهات يدرك وقعها خصمه، وبنى على كلام خصمه طباقًا وقولًا بالموجب، إذ قال عنه أولا: "إن سُئل عن شيء من العلم برّز ثيابه وأظهر أردانه وأشار بخاتمـ[ـه] ونفض لحيته وسعل وتنحنح وانقطع وتشجع، وقال: أنا داويتُ، وعالجتُ، وقطعتُ، وبططتُ، وجبرتُ، وكحلتُ، وفصدتُ، وحقنتُ، وشمرتُ، وقدحتُ، ولقطتُ من غير حاجة مني إلى شيء من هذا" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص٩٠-٩١)، ثم حَرَف كلام خصمه عن وجهه، فردّ عليه دعواه، وصنع منها:

أ .طباقًا:

وهو تضادٌّ معروف في البديع، وقد طابق صاعدٌ بين نية الإصلاح التي في قلب مدّعي الطب وواقعة الإفساد التي من يديه، إذ قال: "ولا يعلم المتخلِّف أنه عند دوائه يُحتاج إلى الدواء...، وعند جبره يكسر، وعند كحله يعمى، وعند فصده يخاطر بالعضو، وعند تشميره يشوّه الجفن، ... وعند قدحه يُهلك العين" (السابق، ص٩١).

جدول ٣ الطباق

الكلمة	ضدها
الكحل (علاج البصر)	العمى
الفصد (شقّ عِرق لإصلاح عضو)	المخاطرة به
التشمير (علاج الرمش المنعكس)	التشويه
القدح (سحب ماء من العين بقدح)	هلاك

والأدبية بهذا المعجم موضع نظر، كأنه في شأن طبي خاص، ولم يستغن فيه عن نصية موازية؛ تشرح غريبه، غير أنه قد تقدمه ما يُعليه في الأهمية، والخصمُ في غنى عن الشرح؛ فأسماء الأدوية والأدواء مألوفات في زمنه.

ج . قولاً بالموجب:

وهو: "حمل لفظٍ وقع في كلام الغير على خلاف مراده ممّا يحتمله بذكر متعلقه". (القزويني، ١٩٧١، الإيضاح، ص٥٣٣)، فقد قال الدعيّ: (قطعتُ وبططتُ ولقطتُ وحقنتُ)، فأقر صاعدٌ لفظه، وحمله على خلاف مراده، فقال: "عند قطعه يقطع بالمريض، وعند بطّه يبط بالخرق، .... وعند لقطه يلتقط أموال الناس، ... وعند حقنه الـمُسهِّلة يحقن الطبيعة" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص٩١)؛ فكل إسعافات الدعي تؤدي إلى هلاك المريض، فتدخلاته الجراحية -كاستئصال ثؤلول ووخز بثرة وانتقاش شوكة- تتسع عن المقدار، ولا تذهب بالأذى عن المريض، بل تذهب بماله، وحينا يداوي الشيء بضده، فيستعمل حقنة الإمساك بدلًا من حقنة الإسهال.

ويُشكل أنّ عدّ (القول بالموجب) من أنواع القول البليغ متأخرٌ عن صاعد، فهو من مبتدعات ابن أبي الإصبع (المتوفّى ٦٥٤هـ) (مطلوب، ١٩٨٣، ج٣ ص١٤٥)، وقد كان في زمن صاعد أحد الاعتراضات في علمي الجدل والأصول (الجويني، ١٩٧٩، البرهان في أصول الفقه، ص٩٧٣)، فلا يدخل في أدبية الكتاب؛ لأنه آنذاك مسلك جدلي فحسْب، وأراده صاعد لتغليط صاحب الصناعة الطبية العملية، ولم يرقبْ فيه أدبيةً تجعل قوله من منتخبات الكلام، وتحكم له بإجادة البيان.

ولا أقصد أن المصطلح البديعي متأخر عن شاهده، فجلّ المصطلحات متأخرة عن أدب الجاهلية والأجيال الأولى بعد الإسلام، إنما الإشكال في اعتبارِ طريقةِ قولٍ أدبيةً وقد قيلت في زمنٍ لم يَعرفها إلا مسلكًا جدليًّا، فالصناعة الجدلية -لا الأدبيّة- هي ما أوحى إلى صاعد استغلال ألفاظ خصمه، ومن الجور أن ننسب فرعًا لغير أصله، كما أنه لا يُحكم بأدبية شيء إلا بمرجع أو تقليد متقرر عند إنتاج القول الأدبي ماثلٍ لصانعه؛ لكيلا يُعمَّم تقليد زمن على آخر، ولا تُسلّط أدبيةٌ على عصر وتُسقط أدبيته، ولكنّ الأدبية تؤثّر بشواهدها قبل ظهور اصطلاحاتها، وللقول بالموجب شواهد من القرآن الكريم، ولا يعسر حمله على اللغز والجواب (الجاحظ، د.ت، البيان والتبيين، ج٢ ص١٤٧) أو المغالطة (الجرجاني، ٢٠٠٤، دلائل الإعجاز، ص١٣٨) اللذَين اصطُلح لهما

الأسلوبُ الحكيم (السكاكي، ١٨٩٨، مفتاح العلوم، ص١٤٠. مطلوب، ١٩٨٣، ج١ ص١٩٩-٢٠١)، ففيهما تصرف بكلام الخصم في غير معناه، وشواهدهما مشهورة، وقد جاء في بديع ابن المعتز (المتوفّى ٢٩٦هـ) المذهبُ الكلامي (ابن المعتز، ١٩٨٢، البديع، ص٥٣-٥٧)، وهو أصلًا من طرائق الجدل، والسبكيُّ (المتوفى ٧٧٣هـ) يرى أن نوعًا من القول الموجب هو من المذهب الكلامي، والنوع الآخر من الأسلوب الحكيم (السبكي، ١٩٣٧، عروس الأفراح، ج٤ ص٤٠٨-٤٠٩)، فحقّ بهذا أن يُقرّ بأدبية القول بالموجب الذي استعمله صاعد، فقد تهيّأ أن يدركه بأمثلةٍ وبمصطلحاتٍ وضعها الجاحظ ومَن تلاه.

المبحث الثالث: أدبية النادرة

خص صاعد بابين بالنوادر، هما: الباب السابع: وعنوانه: "في نوادر المتخلِّفين من الأطباء وبعض تصحيفاتٍ وأغلاطٍ عَرَضَتْ لهم" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص٩٣)، فيه واحدة وثلاثون نادرة، والباب الثاني عشر، وعنوانه: "في نوادر سمعتها وشاهدتها جدية وهزلية تتعلق بالمتطببين" (السابق، ص١٣١)، فيه إحدى عشرة نادرة.

أما الباب السابع فمن عنوانه أنه في التصحيف، وابتدأ الباب بأن أولئك المتخلِّفين: "عدموا الصفات والآداب والقوانين"، وفيه أربع عشرة نادرة كان الراوي لها صاعدًا نفسه، فأدى الرواية بصيغ أداء (القاضي، ١٩٨٨، الخبر في الأدب العربي، ص٢٥٢)، هي: رأيت وسمعت، ومنها ما كان إحدى شخصيات النادرة، مثل: "ومما سمعت من تصحيفاتهم ما أنا ذاكره: لقيني إنسان حديث السن يتطبب بالاسم، فقال لي: يا سيدي، لمَ منع جالينوسُ في تدبير الأصحاء من فصد المنجِّمين؟ فقلتُ له: والله، ما منع جالينوس من فصدهم! وما الذي كان بينه وبين المنجِّمين؟! فقال: أنا [أُوْقِفُكَ] على ذلك من كلام الرجل، وأخرج لي من كمه كتابًا، وصفح منه أوراقًا إلى أن وجد الموضع، فنظر به، وإذا هو: (ولا يُفصد مُتْخَم)، فأعلمته أنه قد صحّف، وأطلقت للمنجمين الفصد، وبَرَأ جالينوس من التهمة" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص٩٦).

ويُعّلق على بعض النوادر بمثل: "فلم يمكنني الضحك أن أقف أسمع... عجبتُ... أعجب من هذا... دهشتُ... عجائب يطول شرحها... ما أعجب قول الرجل..."، ويشرح بعض ما فيها، وإن قيل: نزل المؤلف هنا منزلةَ القارئ النموذجي (Model Reader) المؤثّر في القارئ الواقعي (Real Reader) (إيكو، ١٩٩٦، القارئ في الحكاية، ص٦٨، ٦٩) -إذ تلقى النادرة ووعاها وقرّبها لمن يتلقاها بعده- فقد حكمنا بأن أدبيّة النادرة دون الكفاية؛ فلأجل أن يستغربها القارئ الواقعي صنع صاعدٌ من نفسه قارئا نموذجيا يستغرب ويعجب ويضحك ليفعل القارئ الواقعيُّ مثله، كالقهقهات المسجَّلة التي تُلحق بالمرئيات الفكاهية، وكالجمهور المتضاحك المبثوث بين جمهور الملهاة المسرحية.

والرأيُ أن تعليقات صاعد ليست لاحقة قرائية موجِّهة، بل هي جزء من السرد، فقد ابتدأه وحضره، ومنتظر منه أن يختمه، ولذلك لم يأتِ مثلها في النوادر التي لم يروِها.

وأما أبطال النادرة فقد أبهم أسماءهم: "لأن منهم من مات، ومنهم من قرأ واستوى، ومنهم قوم لا يفهمون" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص١٠٤)، ولو سمّاهم لنقض التشويق، فكيف يدعو إلى مهنة وقد خلّد منتسبين إليها في الحمقى، وفيهم من ظلّ حيًّا يُعامله الناس، ومَن دعا إلى علم أو مهنة افتخر بأعلامها، وليست هذه حجته، إنما حجته أنه لا يُرجى من ذكر أسمائهم زجرًا لهم حتى يستقيموا، فمنهم من توفّي، ومنهم تحسّن، ومنهم من لا يعي الزجر لحمقه.

وأما الباب الثاني عشر فكان المؤلف راويا لنادرتين منه، ولم يكن من شخصياتها، ولم يُعلّق على شيء منها، فنوادر الباب مكتفية بنفسها، لم تصحب بنص موازٍ، وبين نوادر هذا الباب صلات، فنادرة في مخالفة الطبيب تتبعها أخرى في الثقة

به، ونوادر في التفنن اللغوي في الوصف والاستوصاف من سجع وتورية وتشبيه، ويختتم الباب بثلاث نوادر أولاهما في حمق مريض والأخيرة في حمق طبيب.

والباب مُشْكلٌ في عنوانه؛ لأنه جعل النوادر جدية وهزلية، وهي هزلية فحسب عند عادل خضر (خضر، ١٩٩٣، صناعة النادرة، ص٢٥٣)، وسليمان الطالي (الطالي، ٢٠١٣، النادرة في الأدب العربي، ص١٠٦)، وعلي البوجديدي (البوجديدي، ٢٠١٦، النادرة من الأدب العربي، ص٣١٤). ومضحكة عند مي أحمد يوسف: (يوسف، ١٩٩٣، السقطة في نادرة الأدب العباسي، ص٢٠٣).

والذي يظهر أن حدّ النادرة عند الأوائل: خبرٌ مُغرِب؛ فالخبر جنسها الذي تنتمي إليه، والإغراب فصلها الذي تتميز به، فيخرج بـ(الخبر): السرود الأخرى كالمقامة، ويخرج بـ(الإغراب): خبر السيرة والترجمة، مثل خبر وِلادةِ عَلَمٍ وتعلّمه ورحلته وموته إن لم يكن خلاف المألوف، وباجتماع الجنس والفصل يكون التعريف بالحد، وهو التعريف الجامع المانع في المنطق، وقريب منه تعريف علي عبيد، وهو: "قول ينأى عن معتاد الكلام، موظَّف للهزل والجد؛ يحدث في السامع غرابة واندهاشًا" (عبيد، ٢٠١٠، نادرة، ص٤٤٩)، ولو أبدل السرد أو الخبر بالقول لفرّع النادرة من جنس قريب لها.

وأما تعريفها بالضحك أو بالهزل عند المعاصرين فما هو إلا تعريفٌ بوصف خارج عنها؛ لأن الهزل سمة عارضة لراوي النادرة أو لبطلها، فليس كلُّ راوٍ لها هازلا، بل قد يقولها تنفيرًا من أهل الحمق والغباوة، فهو حينئذ في مقام جِدٍّ وتهذيبٍ، وليس كلُّ أحمق في النادرة هازلا، بل هو أقرب عند نفسه إلى الجد إلا إن كان متحامقًا.

والضحك حال من المتلقي، وما كل متلقٍ تُرجى ضحكته، فالنفوس تتفاوت ثقلًا وخفة، والعقول تتباين فهمًا وبلادة، حتى إن الجاحظ علّق الضحك بمشيئة مخاطبه: "وأنت في ضحك منه إذا شئت، وفي لهو إذا مللت الجد" (الجاحظ، ١٩٩٠، البخلاء، ص٥)، ومن قبلُ قال: "وقلتَ: اذكر لي نوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء، وما يجوز من ذلك في باب الهزل، وما يجوز منه في باب الجد". (السابق، ص١)، والذي أدخل الهزل في تعريف النادرة الاعتدادُ بالغالب فيها، أو تقديرُ بِنيةٍ لازمنية مُنتِجة على مذهب البنيويّين، وهي الهزل، وليس الإغراب الذي يَذْهب بالاعتياد.

والذي أدخل ضحك المتلقي هو قيم التحرر من سلطة الكليات والبنى، فصار وجود الشيء مرتبطًا بتلقيه، فحيث التلقي يكمن الاختلاف والانفتاح والمشاركة (حسن، ٢٠١٨، تحولات الخطاب النقدي، ص١٨، ٢٨)، فالنادرة لم تبتدئ بانسلالها من الخبر، ولا عن بِنْية بعثتها، وإنما أثبتت وجودها ونالت سيرورتها بالضحك الذي لقيته من متلقيها، ولولاه ما حُفظِت ولا رُوِيت ولا كُتِبت في حسبان ما بعد الحداثة.

والأدبيّة -التي كانت وصلًا بين صاعد ومن يشوِّقهم إلى الطب- بَنَتِ النادرة على أنها خبر بصنعة لغوية خاصة، فيه استعمال للغة استعمالا غير مألوف، بتصحيف قراءة، أو بالإدهاش بمعانٍ بعيدة، أو بالحوار بكلام غير معتاد، برد ساذجٍ أو مُسْكِت، فالنادرة الأدبية كالنادر النحوي الذي يستعمل إعرابًا أو نظمًا للكلام على خلاف المألوف.

وسيأتي من نوادر صاعد أن طبيبًا يقترح دواءً مقوّيًا، وأنّ والدةً تحذّر ابنها من دواءٍ مسموم، والمتوقع أن يؤخذ الدواءُ الأول ويُترك الثاني، لكنّ العكس وقع، وسيأتي طبيبٌ يُملي الوصفة كالرسالة الديوانية، وآخر يحاور مريضه وهو أصم، ومريض وطبيب ينطقان بالقول البذيء في صفة الداء ووصفة الدواء، ومتطببون يقرؤون (الحِسّ البَصَري): الحَسَن البَصْري، ويلتبس عليهم القَطَا بالقِطّ...، فالنوادر جاءت بكلام لم يجرِ في الحسبان والاعتياد.

ورأت مي أحمد يوسف أن النادرة تتحقق فيها السَّقْطة، ونقلت أن السقطة: "قوة التعارض بين المستوى المتوقع الحصول والمستوى الذي حصل فعلا" (يوسف، ١٩٩٣،

السقطة في نادرة الأدب العباسي، ص٢٠٤)، وأسباب النادرة في كتاب صاعد سببان يجيئان بالغرابة، هما:

١ . **تقارب القول**، إذ ينتج من احتمال قولٍ لقراءة أو لمعنى غير مقصودين، وهو نوعان، هما:

أ . تقارب القول في الكتابة (نوادر التصحيف):

خص صاعدٌ بها بابًا كما سلف، وفي نوادره تكون الكتابة المتقاربة لقولين سببًا في استعمال مخالف للغة بقراءة غير صحيحة وفهم سقيم، والمستعمِل هو بطل النادرة، ومنها: "صحّف بعضهم: (ولا يُدمن الأكل)؛ فقال: ما أعجب قول هذا الرجل: (ولا بدّ من الأكل)؛ كأنّا ما علمنا هذا؟!" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص٩٧)، ومنها: "قرأ بعضهم في كُناش قديم: (وليكن غذاؤه فرخًا أو قِطًّا)؛ فقال: والله، إن هذا لعجب! كيف يأمر هذا الناسَ بأكل السنانير؟!" (السابق، ص١٠٠) والصواب: (قَطَا). ومن القرّاء من ظن أن للتابعي الحَسَن البَصْريّ (المتوفّى ١١٠هـ) رأيًا في مسألة طبية؛ لأنه قرأ في كتاب في الطب هكذا: "الحَسَن البصْري يشهد بذلك"، وهي الحِسّ البَصَري، ومن أضرها: أنّ "آخر صحّف: (ويُسقى بُزْرَ بَنْجٍ مع سُكّر)، فصحّفه: (ويُسقى بِزِرْنيخٍ مع سُكّر)؛ فسقى المريض زرنيخًا؛ فقتله" (السابق، ص١٠١). ومنها ما اشترك المعلّم وتلميذه فيه: "مثل هذا ما صحّفه بعض تلامذة هؤلاء، فقال: (ويحْذَر الخَس)، فقال له معلمه: صحّفتَ، ويلك! إنما هو: (ويُخدِّر الجنين). وكانت في الأصل: (ويُخدِّر الحِس)، فصحّفا جميعًا؟!" (السابق، ص١٠٢).

ب . تقارب القول في الدلالة (نوادر التورية):

في الباب الثاني عشر نادرة جاور فيها المتحاوران ألفاظًا تتجاور عادة في موضوع هندسي وفلكي، فخالفا المألوف، وجاءا بها في وصف المرض ووصفة العلاج، ويرويها صاعد نفسه، وهي باختصار: "حضرنا عند مريضٍ مهندسٍ ومعنا طبيبٌ منجّم، فشكا المريض إليه حاله، وقال: "(منحرف) المزاج مع أن تدبيري ما زال جاريا على (استقامة)، وكنت كثيرًا ما أضع (المخروط) في (الدائرة) [لعله يقصد القلنسوة في الرأس]، فلما كان بالأمس أحسستُ بالآلام، وكأنها ترسم في (كرة) رأسي (أقطارًا)... ثم استقر الألم في (المركز)... وأحسسته داخل (الأضلاع)... فقعدت لشدة ما نالني في (زاوية). فقال له الطبيب: "يجب أن يؤخذ... بزر لسان (الحَمَل) وبزر لسان (الثور)... أجزاءً سواءً بـ(الميزان)... وتقلب عليه (دلو) ماء... واصبر عليه إلى وقت زوال الشمس" (السابق، ص١٣٣-١٣٤)، فالمهندس يوهم أنه تكلّم في هندسته، إذ لم يخرج حديثه عن الخطوط والأشكال، والمنجم يوهم أنه لم يتجاوز الفلك، لما وصف أدويةً أسماؤها كأسماء الأبراج.

٢ . تنافر القول في المفكّرة (نوادر الحصافة أو الحمق).

لقد اعتادت الألسن والآذان على حوارات بين الطبيب والمريض فيها التهذيب والثقة والوضوح، وقد تكلّم السكاكي في الفصل والوصل –وهو باب معني بالجمل المتوالية– على القوة الـمُفَكِّرة، وهي: قوة ذهنية تدرك ما بين الجمل من اتصال وانفصال، ولها جوامع ثلاثة، عقلي ووهمي وخيالي، ومن خالف بتركها جاءه: "الاستبداع والاستنكار" (السكاكي، ١٨٩٨، مفتاح العلوم، ص١١١)، "واستُطرف نسقُه هذا إلى غاية، ربما استُودِع دفاتر المضاحك، وسَفَيْن [لعلها بمعنى: حَمَلْن] نوادر الهذيان" (السابق، ص ١٨٨)، لكن الإتيان بما لا تألفه القوة المفكرة لا ينتهي دائمًا إلى وسمه بالحمق والهذيان، فمنه ما يخرج عن المألوف خروجَ الدهشة والإعجاب، فيُحكم عليه بالحصافة والفطنة، وليُنظر إلى نادرة عبد الملك بن مروان وطبيبه التي افتتح بها صاعد نوادر الباب الثاني عشر: "حُكي عن بعض الأطباء أنه قال لعبد الملك بن مروان: لقد اتخذتُ لك يا أمير المؤمنين دواءً يُشَهِّي إليك الطعام، ويُحبّب إليك الجماع، ويُسرِّع إليك النوم. فقال: والله، لولا قديم صحبتك، وما سبق من خدمتك؛ لأمرتُ بضرب

رقبتك! يا ويلك! أمّا ما ذكرتَ أنه يُشهي إليّ الطعام؛ فيكفيني أن أدخل الخلاء في النهارِ والليلِ مرةً واحدة، وأمّا ما ذكرتَ أنه يُحبب إليّ الجماع؛ فالجماع جنون؛ يكفيني أن أجنّ في الشهر مرة، وأمّا ما ذكرتَ أنه يُسرع إليّ النوم؛ فيكفيني أن أموت الليل. فاعتذر الطبيب، وسأله العفو عنه" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص١٣١)، ووجه الإغراب أن القوة المفكرة في مألوف الأخبار لا تتوقع أن تُرذل الرغبات التي قالها الطبيب، فندر ذمها، ولا سيما أن الطبيب والسلطان قد خالفا المعتاد، وهو أن يكون السلطان راغبا في الراحات، والطبيب منفّرا منها.

ومنه: "كتبتْ أمُّ الإسكندر إليه: احذرْ طبيبك؛ فإنه يريد أن يَسُمَّك، فلم يلفت إلى ذلك، ودعا بطبيبه، وأمره أن يأتيه ببعض الأشربة الدوائية، فأتاه الطبيب بالشُّرْبة، فتناولها، وشربها، ودفع إليه الكتاب، وقال: اقرأ هذا؛ لتعلم حسن ظني بك" (السابق، ص١٣٢)، فالقوة المفكّرة تجاور بين الأم وطاعتها، وتتصور اصطناع أعداءِ الملوك أطباءَهم في قتلهم، فالمتوقع أن الإسكندر (المتوفّى ٢٣٢ ق.م) يأخذ بكلام أمه ولو بمساءلة طبيبه، والفحص عن أدويته، لكنه لم يفعل، فكانت النادرة.

ومما خالف القوة المفكرة أن يترك الطبيب مرض مريضه، فيسأله عما لا يعينه، كهذه النادرة: "بلغني أنه دخل طبيب على بعض ظرفاء الكُتّاب، فسلّم عليه، وقعد، وابتدأ يسأله عن حاله، وقال له: ما تجد؟ قال: ألـمـًا. قال: وما هذا الألم؟ قال: حمّى. قال: وممَّ حممتَ؟ قال: من عقر الخُفّ. قال: ولمَ عقرك؟ قال: لبستُه، وكان ضيّقًا. قال: ولمَ لبستَه؟ قال: مضيتُ في حاجة. قال: وأين كانت الحاجة؟ قال: في الديوان. قال: ولمن هي؟ قال: للسلطان. قال: وما هي؟ قال: لا أقول لك! قال: ولمَ لا تقول لي؟ قال: [لأنك ضعفان دبر القفا]، قم عني إلى لعنة الله؛ فما أشد فضولك!" (السابق، ص٩٥، وما بين المعقوفين حذفه المحقق، وإكماله من: الشيرازي، ٢٠٠٢، الحاجة إلى الطب والأطباء، ص٦٩).

والحوار بين الطبيب ومريضه قد يصل إلى مدلولات مقززة، مثل قول مريض: "يا سيدي، شربتُ الدواءَ طلوعَ الفجر، فأول مجلسٍ قُمتُه يابسٌ مثلُ الجوزِ الذي تكسره بأضراسك، ثم جاء بعده شيء مثل الماء الذي تشربه" (صاعد، ١٩٩٦، التشويق الطبي، ص١٣٧)، والمجلس من كنايات قضاء الحاجة، ومثل هذه النادرة نادرة أخرى، هي: "شكا بعض المتقززين إلى طبيب غثيانًا، فقال له: خذْ مقدار رأسِ فأرةٍ جلنجبينًا [مُربّى]، وألقِ عليه ملءَ محجمةٍ ماءً، وحرّكْه حتى يصير مثل المخاط، واشربْه. فما استتم الصفة حتى تقيّأ الرجل على المكان" (السابق، ص٩٥).

ومما تستنكره القوة المفكّرة أن تكون الوصفة الطبية في فصاحة وبديع كالرسالة الديوانية، من ذلك: "كان بدمشق رجل طبيب نحوي أديب وكان يعتمد في كلامه لزوم القافية وإعراب الألفاظ فحكى بعض الأصدقاء، قال: لقيتُه يوما، فشكوتُ إليه رداءة هضم، وقلة عطش، فقال لي: هذا دليل على أن معدتك قد بردتْ، وإن غفلت عنها فسدتْ، ويلزمني أن آمرك النُّصْح، والله ولي التوفيق و[النُّجْح]..." (السابق، ص١٣٢)، ومنه: "أنه كتب نسخة لمريض ناقهٍ، وكان في آخرها: (وليكن الغداء ماشًا)؛ فأكل في ذلك اليوم من الغداة إلى العشي مِن كلِّ ما شاء؛ فأعان على نفسه" (السابق، ص١٣٢)، فالطبيب خاطب بفصاحةٍ عاميًّا لا يعرف أن لتنوين النصب ألفًا لحقت: (ماش)، وإعرابه خبر يكن؛ فانتصب، ولحقته الألف، وظنها المريض جزءً من كلمة (شاء) بلا همز، وأن (ما) الموصولة سبقتها، وأنّى لعاميٍّ التنبه إلى هذا، حتى لو كان عالما بالإعراب فإن الوهم غير مأمون.

والقوة المفكّرة أخذها السكاكي من فلسفة النفس، وممن تكلم فيها ابن سينا (ابن سينا، ١٩٥٢، أحوال النفس، ص٦٢)، والاتكال عليها في تمييز النادرة من سائر الأخبار لا يعني إقصاء اللغة وآلياتها الأدبية، وإحلال الاستجابات الذهنية والنفسية محلها؛ لأن وقع النادرة لا يكون إلا بغرابتها

عن العادات اللغوية، فإن أُلِفتْ في اللسان فقدتْ وقعَها مع بقاء ما فيها من غرابة فكرية.

ومن البديهي أنّ أديبَ الخطبة خطيبُها، وأنّ أديبَ الرسالة كاتبُها، وأنّ أديبَ الشعر ناظمُه، فلا تُنسب إلى الرواة ولا إلى مَن جمعها من المؤلفين، وأما أديب النادرة فمشكل، فإنه إنْ كان أديبُها بطلَها الذي أغرب -فأعجب أو أضحك- استقرت الأدبية حينئذٍ على الجزء الذي قاله أو فعله من نص النادرة، وهو لا يكفي لأن تتقوّم به النادرة.

وإن كان أديبُها ناقلَها – ممن بَصُر بها من بين الأخبار، وأحكمها، وأدّاها بالرواية أو بالتأليف أداءً يحفظ نادريّتها- حُقّ لنَقَلَة الخطب والاشعار أن يكون لهم مثل ما لناقل النادرة، فكما تخيّر تخيّروا، وكما حَفِظ حَفِظوا.

ووقوع هذا الإشكال حُجّةٌ في أنّ الأدبيّة أوسع من الأدباء، فلا الأدبية قول أديب فحسب، وليس وراءَ كلِّ أدبٍ أديب، إنما الأدبية قانونٌ لغويٌّ يُمثّله كلُّ ما امتَثَلَ له مِن أشعارٍ وأخبارٍ ولو كانت غُفْلًا، ومِن سرودٍ ولو كانت أخبارًا ونوادرَ لم يحبكها قاص، أو كانت حكاياتٍ وأساطيرَ فاضتْ بها مخيّلةُ شَعْب، ومِن هذا القانون أُقصِي الأديب/ الكاتب/ المؤلف، وشُرِع القول بالبنى النصية ثم بتقاليد القراءة. (ينظر: جبار، ٢٠٠٤، الخبر في السرد العربي، ص٢٦٨، ٢٧٥)، ولقد وجدتْ علومُ التاريخ والاجتماع والنفس والجمال في القول بتمرْكُزَ الأدبِ في الأديب سبيلا إلى تسوّره؛ لأن الأديب كأي إنسان تتجاذبه أحوال عصره ومجتمعه وبواطن غرائزه؛ فأمكن أن يُفرّع أدبه من تلك الأحوال أو البواطن وأن يُستعان بتلك العلوم لسبرها، إلا إن قيل إن الأدب لا ينبني إلا على نظام ومادة كامنين في اللغة.

الخاتمة

لا يُقطع بأن صاعدًا الطبيب هو صاعد الأمير، بل لا يرجّح؛ فالشك باقٍ ما لم تظهر معطيات غير ما لدى ابن عساكر وابن أبي أصيبعة.

وإن التشويق في العلم يجيء متلبّسًا بالغزل الشعري، ويجيء بالاستدراج الخَطابي للإقبال على العلم ولانتقالِ الصناعاتِ العملية إلى علوم، ومنه تشويق صاعد.

والازدواجُ تفننٌ قولي متاح، لم يرتفع به خواص الكتّاب ونخب المترسلين عمن سواهم، ولصاعد نظراء كتبوا في شؤون تخصصهم على منوال ما كتب، وليُنظر إلى مقدمات كتب التراث الطبي، وفصولها التي في وصايا الوقاية، وآداب المريض والطبيب، فالأدبية وسعت مَن لم يكن أديبًا أصالة.

والنادرةُ في العصر العربي الوسيط تُحَدّ بالخبر والغرابة، سواء أجاءت عن جد أم جاءت عن هزل، وسواء أأوقعتْ ضحكًا أم لم تُوقِع.

ويَحْسُن أن تجمع التشويقات التي تحتملها الفنون البلاغية، وأن تناقش تواريخ العلوم بما نبّه عليه الفارابي، ودعا له صاعد في الطب، وهو مبدأ الانتقال من العمل إلى العلم تشوّقا للفحص والتعليل، والتدرج من الطرق الخُطبية إلى الجدلية ثم البرهانية، وقد أرّخ لصنائع اللسان العربي بأنها تبدأ (بأعمال) الحفظ والرواية والتدوين، ثم يكون لها (علوم) بطرق خُطبية، تُبنى على استحسانات مشهورة وانفعالية، فتكثر الآراء وتختلف، فتظهر الطرق الجدلية للفصل بينها بكتب الخلاف والردود، ثم يكون مما فُحص وثبت منها: الطرق البرهانية، وهو أظهر في النقد والبلاغة من النحو والتصريف.

وأخيرًا، هل جاءت الأدبيّة إلى صاعد من مدوناتها النصية أم من كتبها النقدية والبلاغية؟ أي: هل قرأ صاعد آثار الجاحظ وأمثالها ثم حاكاها أم أنه قرأ صناعتي العسكري وخطابة الفارابي ونحوهما وامتثل لهما؟ لا يُتصور أن تؤخذ الأدبية نظرية بلا نصوصٍ شاهدةٍ وموضحةٍ، إذ: "لا نشأة للنصوص انطلاقا مما ليس نصوصًا"، (تودوروف، ١٩٩٢، الشعرية، ص٧٦)، فالاحتمال ليس بين نصوص أدبية وتنظيرات نقدية وبلاغية، بل في عبور النصوص إلى صاعد مباشرة أو عبورها إليه بما حفّها من اصطلاحات وتقسيمات

ومسائل جادت بها مؤلفات النقد والبلاغة، ومهما يكن فإن صاعدًا لو تزود بالأدبيّة من مستواها العملي (النصوص) ولم يمرر بها على مستواها العلمي (النقد والبلاغة) ما امتثل حينئذ مبدأه في التشويق من الصناعة العملية إلى الصناعة العلمية.

المراجع:

ابن أبي أصيبعة (د.ت) أبو العباس أحمد بن القاسم الخزرجي (المتوفّى ٦٦٨هـ)، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، تحقيق: نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة.

ابن جني (١٩٥٧)، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفّى ٣٩٢هـ)، *الخصائص*، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، دار الكتب المصرية.

ابن رشد الحفيد (١٩٦٧)، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبي (المتوفّى ٥٩٥هـ)، *تلخيص الخطابة*، تحقيق وشرح: محمد سليم سالم، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي.

ابن سينا (١٩٥٢)، الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله، *أحوال النفس*، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، ط١، مصر، دار إحياء الكتب العربية.

ابن طباطبا، (١٩٨٥)، أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي (المتوفّى ٣٢٢هـ)، *عيار الشعر*، تحقيق: عبد العزيز المانع، الرياض، دار العلوم.

ابن عساكر (١٩٩٥)، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (المتوفّى ٧٥١هـ)، *تاريخ مدينة دمشق*، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن المعتز (١٩٨٢)، عبد الله (المتوفّى ٢٩٦هـ)، *كتاب البديع*، اعتنى بنشره: إغناطيوس كراتشقوفسكي (Ignaty Krachkovsky)، ط٣، بيروت، دار المسيرة.

ابن منظور (٢٠٠٨)، أبو الفضل محمد جمال الدين بن مكرم (المتوفّى ٧١١هـ)، *لسان العرب*، ط٦، بيروت، دار صادر.

إيخنباوم (١٩٨٢) بوريس (المتوفّى ١٩٥٩م)، (Boris Eikhenbaum)، نظرية المنهج الشكلي، ترجمة: إبراهيم الخطيب، *نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيين الروس*، ط١، المغرب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية. ص٣٠-٧٤.

إيكو (١٩٩٦)، إمبرتو (المتوفّى ٢٠١٦م)، (Umberto Eco)، *القارئ في الحكاية التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية*، ترجمة: أنطوان أبوزيد، ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي.

بلعابد (٢٠٠٨) عبد الحق، *عتبات جيرار جينيت من النص إلى التناص*، ط١، بيروت، الدار العربية للعلوم، الجزائر، منشورات الاختلاف.

البوجديدي (٢٠١٦)، علي، النادرة من الأدب العربي مسالك الكتابة ومطبات القراءة، *مؤتمر: مسالك الكتابة وآفاق التلقي*، الجزائر، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، ص٣٠٦-٣٣٣.

التهانوي (١٩٩٦)، محمد بن علي الفاروقي الحنفي (المتوفّى بعد ١١٥٨هـ)، *كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، تحقيق: على دحروج، مراجعة: رفيق العجم، ترجمة: عبد الله الخالدي وجورج زيناني، ط١، بيروت، مكتبة لبنان.

تودوروف (١٩٧٥)، تزفيتان (المتوفى ٢٠١٧م)، Tzvetan (Todorov)، *نقد النقد*، ترجمة سامي سويدان، مراجعة ليليان سويدان، ط٢، بغداد، دار الشؤون الثقافية.

تودوروف (١٩٩٢)، *الشعرية*، ترجمة: شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة، ط٢، المغرب، توبقال.

الثعالبي (١٨٨٥)، أبو منصور عبد الملك النيسابوري (المتوفّى ٤٢٩هـ)، *يتيمة الدهر*، دمشق، المطبعة الحفنية.

الجاحظ (١٩٩٠)، *البخلاء*، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني (المتوفّى ٢٥٥هـ)، حققه وعلّق عليه: طه الحاجري، ط٥، القاهرة، دار المعارف.

الجاحظ (د.ت)، *البيان والتبيين*، ط٢، بيروت، دار الجيل.

جبّار (٢٠٠٤)، سعيد، *الخبر في السرد العربي الثوابت والمتغيرات*، ط١، الدار البيضاء، شركة النشر والتوزيع.

جزماتي (١٩٩٦) حسام، التشويق لصاعد بن الحسن، *مجلة عالم المخطوطات والنوادر*، الرياض، المجلد ١، العدد ١، ص ١٠٨- ١٢٤.

الجويني (١٩٧٩)، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله (المتوفّى ٤٧٨هـ)، *البرهان في أصول الفقه*، تحقيق: عبد العظيم الديب، ط١، قطر، (دون دار نشر).

جيرو (د.ت)، بيير، (Pierre Giraud)، *الأسلوبية*، ترجمة منذر عياشي، حلب، مركز الإنماء الحضاري.

جينيت (١٩٩٧)، جيرار (المتوفّى ٢٠١٨)، (Gerard Genette)، أطراس الأدب من الدرجة الثانية، ترجمة: المختار حسني، ضمن مقالته: من التناص إلى الأطراس، *مجلة علامات في النقد*، جدة، النادي الأدبي الثقافي بجدة، مجلد ٧، جزء ٢٥، ص١٧٥-١٩٢.

حسن (٢٠١٨)، إيهاب (المتوفّى ٢٠١٥م)، *تحولات الخطاب النقدي لما بعد الحداثة*، ترجمة: السيد إمام، ط١، البصرة، دار شهريار.

خضر (١٩٩٣) عادل، صناعة النادرة بحث في بلاغة الهزل، *ندوة مشكل الجنس الأدبي*، كلية الآداب بمنوبة، جامعة تونس، ص٢٤٣-٢٥٥.

الزركلي (٢٠٠٢)، خير الدين بن محمود (المتوفّى ١٣٩٦هـ)، *الأعلام*، ط١٥، بيروت، دار العلم للملايين.

سباع (٢٠١٩) محمد، الحداثة وما بعد الحداثة تقصي للمدلولات وتتبع للتحولات، *الحداثة وما بعد الحداثة من عصر الميتافيزيقا والكليات إلى عالم بلا مركزيات*، ط١، الجزائر، ابن النديم للنشر والتوزيع، بيروت، دار الروافد الثقافية، ص١٩-٤٨.

السبكي (١٩٣٧)، أبو حامد أحمد بهاء الدين بن علي (المتوفّى ٧٧٣هـ)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، *شروح التلخيص*، تحرير: فرج الله زكي الكردي، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ج٤ ص٤٠٨-٤٠٩.

السكاكي (١٨٩٨)، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر (المتوفّى ٦٢٦هـ)، *مفتاح العلوم*، مصر، المطبعة الميمنية.

شعيب (٢٠١٨)، عبد الحميد محمد، الشعر العلمي الغزلي دراسة نقدية، *مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة*، العدد ٣٧، ص٦٥٧-٦٩٠.

الشيرازي (٢٠٠٢)، قطب الدين محمد بن مسعود (المتوفّى ٧١٠هـ)، *بيان الحاجة إلى الطب والأطباء*، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ط١ بيروت، دار الكتب العلمية.

صاعد (١٩٩٦)، بن الحسن (المتوفّى بعد ٤٦٤هـ)، *التشويق الطبي*، تحقيق: مريزن عسيري، الرياض، مكتبة التربية العربي لدول الخليج.

الصفدي (٢٠٠٠)، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (المتوفّى ٧٦٤هـ)، *الوافي بالوفيات*، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث.

الطالي (٢٠١٣)، سليمان، النادرة في الأدب العربي، *مجلة جذور*، جزء٣٥، جدة، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ص١٠٥-١٢١.

عبد القاهر (٢٠٠٤)، أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (المتوفّى ٤٧١هـ)، *دلائل الإعجاز*، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، ط٥، القاهرة، مكتبة الخانجي.

عبيد (٢٠١٠)، علي، نادرة، *معجم السرديات*، إشراف: محمد القاضي، ط١، تونس، دار محمد علي، ص٤٤٩.

عبيد (٢٠١١)، علي، المشافهة في النادرة، *مجلة العلوم العربية والإنسانية*، جامعة القصيم، مجلد٥، عدد١، ص٢٨١-٣١٥.

عبيد (٢٠١٢) علي، في تحليل النص السردي القديم النادرة أنموذجا، *حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق*، جامعة الأزهر، مجلد١، عدد٣٢، ص٥٤٣-٥٩٦.

العسكر (٢٠١٠)، عبد المحسن بن عبد العزيز، *شعر الغزل ونظرة سواء*، ط١، الرياض، دار المنهاج.

العسكري (١٩٥٢)، أبو هلال الحسن بن عبد الله (المتوفّى بعد ٣٩٥هـ)، *كتاب الصناعتين الكتابة والشعر*، تحقيق: محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية.

العسكري (١٩٨٨)، *جمهرة الأمثال*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط٢، بيروت، دار الجيل.

الفارابي (١٩٧٦) أبو نصر محمد بن محمد (المتوفّى ٣٣٩هـ) *الخطابة*، تحقيق وتعليق: محمد سليم سالم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مطبعة دار الكتب.

الفارابي (٢٠٠٤)، *كتاب الحروف*، تحقيق: محسن مهدي، ط٣، بيروت، دار المشرق.

فضل (١٩٩٨)، صلاح، *علم الأسلوب*، ط١، القاهرة، دار الشروق.

القاضي، (١٩٨٨)، محمد، *الخبر في الأدب العربي دراسة في السردية العربية*، ط١، تونس، منشورات كلية الآداب.

قدامة، (١٩٧٩)، أبو الفرج بن جعفر (المتوفّى ٣٣٧هـ)، *نقد الشعر*، تحقيق: كمال مصطفى، ط٣، القاهرة، مكتبة الخانجي.

كحالة (د.ت)، عمر رضا (المتوفّى ١٤٠٨هـ)، *معجم المؤلفين*، بيروت، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي.

مطلوب (١٩٨٣) أحمد (المتوفّى ١٤٣٩هـ)، *معجم المصطلحات البلاغية*، بغداد، المجمع العلمي العراقي.

ناظم (١٩٩٤)، حسن، *مفاهيم الشعرية*، بيروت، المركز الثقافي العربي.

وغليسي (٢٠٠٨)، يوسف، *إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد*، ط١، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.

ياقوت (١٩٩٥)، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفّى ٦٢٦هـ)، *معجم البلدان*، ط٢، بيروت، دار صادر.

يوسف (١٩٩٣) مي أحمد، السقطة في نادرة الأدب العباسي، *مجلة معهد المخطوطات العربية*، مجلد٣٧، الجزء٢، ص٢٠٣-٢٣٠.